الفيلولوجيا وفلسفة اللغة عند نيتشه

د. زدك محمد أمين

جامعة خنشلة (الجزائر)

zedekamine@univ-khenchela.dz

ملخص:

قد يستغرب البعض عند قراءتهم للعنوان السابق والذي يشير الى اكتشاف نيتشه لعلاقة موجودة بين الفيلولوجيا وفلسفة اللغة، إذ الفيلولوجيا هي ذلك الفرع القديم من الانسانيات والذي اصبح شبه مهجور ان لم يكن قد هجر كلية، في حين فلسفة اللغة ذلك الفرع المعاصر من الفلسفة والذي استقل بذاته من زمن غير بعيد ولا يزال يعرف التوسع والتقدم اكثر يوما بعد يوم، ثم اذا كانت هناك مثل هذه العلاقة فيا ترى ما شكلها، وما هي الملابسات التي قادت الى علاقة من هذا النوع، كل هذه الاسئلة وغيرها يحاول المقال الذي بين ايدينا الاجابة عنها من خلال عرض تاريخي لتطور الفيلولوجيا وكيف نسجت لها صلة بفلسفة اللغة مع نيتشه.

الكلمات المفتاحية: الفيلولوجيا، الفلسفة، فلسفة اللغة، النقد، التأويل، الجينيالوجيا.

Preface :

Some may be surprised when they read the previous title, which refers to Nietzsche's discovery of an existing relationship between philology and the philosophy of language, since philology is that ancient branch of the humanities which has become almost deserted if not completely abandoned, while the philosophy of language is that contemporary branch of philosophy that has been independent of itself. It is not a long time ago, and it is still known to expand and progress more day by day. Then, if there is such a relationship, you can see what it looked like, and what were the circumstances that led to a

relationship of this kind, all these questions and others, the article we have tries to answer through a historical presentation The development of philology and how it was woven has a connection with the philosophy of language with Nietzsche.

ليس من السهل على الطالب أن يتوصل إلى تصور واضح عن الفيلولوجيا كتخصص معرفي مستقل، ولم يكن الأمر كذلك حتى على فيلسوف كبير مثل نيتشه، الذي قال مرة أنه لا يملك فكرة واضحة وصريحة عن الفيلولوجيا الكلاسيكية، وأن ذلك راجع إلى طبيعتها المعقدة والمتشكلة، إذ هي تجميع لأنشطة علمية مختلفة وغير متجانسة، فسماها علم ذو وجوه متعددة، وسماها أيضا بالخليط"[1]

ومن أجل عرض مستوفي لهذا التخصص لابد من استحضار العرض التاريخي

تاريخ الفيلولوجيا: هناك ثلاث محطات مهمة في تاريخ الفيلولوجيا

الفيلولوجيا الكلاسيكية (القديمة):

الأولى: الفترة القديمة (اليونان):

ويربط البعض ظهور "الفيلولوجيا العتيقة والمعقدة مع أول نظرية سوفسطائية، حيث كانت تمثل الحقل المعرفي الوحيد في زمانها. وكانت تولي عناية فائقة بالنص، وذلك من أجل دراسته لذاته دون إخضاعه لنقد أخلاقي أو أونطولوجي"[2]

لكن ما قام به السوفسطائيين وغيرهم من أعمال تتصل بالنصوص واللغويات كالنحو والبلاغة، شكل نزعة الى الاهتمام باللغويات والخطاب إلا أنه لم يرقى إلى درجة عمل منظم، فكان بذلك مجرد تمهيد لمرحلة لاحقة سيكون فيها العمل الفيلولوجي أكثر نضجا ووضوحا.

الثانية: فترة الاسكندرية:

وتمت في القرن الثالث قبل الميلاد بالتحديد في مدينة الإسكندرية، خاصة بعد أن عمد الملك بطليموس إلى أنشاء سرح ثقافي لا نظير له: متحف الإسكندرية ... المسمى بالموسيون [MOSEION]، وهي كلمة تعني (حرم ربات الفنون)، بحيث كان هذا المتحف مؤسسة علمية مجهزة بكل ما تحتاجه، وهو

مجمع من العلماء، حياتهم مبذولة للدراسات العليا في مجالات المعرفة كافة. وهم، بكلفة يتعهد بها الوالي، منقطعون إلى لبحث والتعليم مستعينون بمصادر مكتبة هائلة تم جمعها من آفاق العالم المتحضر"[3]. ولقد كان العمل الفيلولوجي ضرورة للاستفادة من التراث الكبير والمتنوع الذي زخرت به مكتبة الإسكندرية، فمحتوياتها كانت متباينة من حيث اللغات والثقافات والتخصصات وحتى الحقب الزمنية، ومن أجل الاستفادة من ذلك كله، تطلب الأمر أولا "ترتيب المصنفات وتحقيق النصوص. لذلك كانت جهود عظيمة لازمة لتنظيم هذه المادة الوفيرة، حتى لا تتحلل وتستحيل إلى فوضى شنيعة"[4].

ولقد استدعي لذلك العمل في البداية الشعراء والمسرحيين، والمؤرخين والخطباء، نظرا لما يتمتعون به من مهارات التعامل مع النصوص، كنقلها وترجمتها وضبطها، (فأعمالهم في السابق كانت تتطلب تحريرا جيدا للنصوص من أجل عرضها لتنال استحسان معاصريهم)، ولكن هذه المرة ليس بإبداع النصوص وإنما الاعتناء بأعمال الآخرين التي يخشى، وهي مخلفات القرون، أن تضيع بفعل نوائب الدهر. وهكذا نشأ العمل الفيلولوجي"[5] الاول.

إن العالم اليوناني إيراتوستنس المولود في قورينيا نحو 275ق.م، والذي أشرف على إدارة مكتبة الإسكندرية من سنة 234 ق.م إلى حين موته سنة 195ق.م، هو أول من الذي أطلق اسم فيلولوغوس Philologos على نفسه وكان يقصد به من يقوم بالاعتناء بالنصوص وضبطها وتحقيقها وترجمتها بالإضافة إلى الأعمال الأخرى المطلوبة، وذلك بعد أن اقتبس الكلمة من الاستعمال الأفلاطوني السالف الذكر.وكانت أهم الأعمال التي بابتكرها وطورها الفيلولوجيين في الاسكندرية آنذاك هي البحث عن أصالة النصوص والتثبت من نسبتها، أي السعي إلى الوصول إلى النسخة الأصلية أو اقرب نسخة للأصل إعادة بناء وتصحيح النصوص التي لحق بها التلف. شرح النصوص وتأويلها والتعليق عليها. نقد مضامين النصوص وما يلزم عنها.

الفترة الرومانية:

لقد كانت الفترة الرومانية من الناحية الفيلولوجية عبارة عن نقل تقنيات التي كانت لدى مدرسة الاسكندرية، ولكن الرومان لم يكن لهم تراث فلسفي بل اكتفوا فيه بنقل فلسفة اليونان وربما التعديل فيها، بل اكتفوا بالابداع في ميداني الخطابة والشعر والمسرح، وفي ميدان القانون، لذلك كان الاهتمام والنقد الفيلولوجيين مسلطين على هذه المجالات فعرفت تحت رعايته الفيلولجيا ازدهارا، ونمت فنون الأدب في

اللغة اللاتينية وازدهرت وعرفت ابهى عصورها إلى غاية أن تبنت الامبراطورية الرومانية الديانة المسيحية ديانة رسمية فبدأت الامور تنحرف عن مجراها.

فترة القرون الوسطى:

لم تكن فترة القرون الوسطى في اوروبا فترة ازدهار بالنسبة للنشاط الفيلولوجي سواء فيما يخص التعليم اللغوي أو الفلسفي، أو حتى الديني، فقد تميزت تلك المرحلة بانحطاط الذوق الأدبي نتيجة عوامل عدة أبرزها اثنين هما طغيان العنصر الاجنبي في روما، فقد تسلل العنصر الاجنبي الى جميع المجالات حتى وصلوا الى منصب الامبراطور نفسه، وكانت الحياة الأدبية من جملة ما تأثر بهذا التغير الاجتماعي، إذ كانت اللغة اللاتينية بالنسبة الى هؤلاء الأجانب لغة ثانية يتم تعلمها بعد بذل الكثير من الجهد ومع ذلك يبقى لديهم قصور يحول دون امتلاكهم الذوق الأدبي وتذوق جماليات النصوص أو التحكم في الاساليب البلاغية والشعرية. وأما العامل الثاني فهو انتشار المسيحية ودخولها حربا دينية ضد كل ما يرجع الى اصول وثنية بما في ذلك النصوص الادبية القديمة التي ابدعها كبار الخطباء والشعراء اللاتينيين، بل وكانت الكنيسة تدعوا إلى كراهية تلك الكتب واتلافها. ساعد على ذلك انتشار المسيحية في البداية بين طبقات كان الجهل متفشى فيها بشدة. فلم تسلم كتب القدماء وضاع منها الكثير بسبب ذلك[6]، واستمر الامر كذلك الى أن برزت فئة من رجال الدين انفتحت على أعمال القدماء وبدأت تقتبس منها مبرة سلوكها ذلك بأن تلك الكتب تحوي حكمة يمكنها ان تكون ذات فائدة في تفسير وتوضيح تعاليم الديانة المسيحية. أمثال القديس اغسطين وتوما الاكويني، ومن جاء بعدهم.

الفيلولوجيا في عصر النهضة:

لا يوجد حدود ظاهرة تفصل فترة القرون الوسطى عن العصر الحديث، لذلك يبقى تمييز فيلولوجيا العصر الوسيط عن فيلولوجيا العصر النهضة من خلال أعمال وانجازات بعينيها وبما طرأ من تغير في ميدان التعليم الفيلولوجي.

لكن يبقى سقوط القسطنطينية بمثابة المنعطف الذي تغيرت بعده مجرى أحداث دامت لقرون فبعد سقوط القسطنطينية، ورحلة العلماء نحو الغرب، جالبين معهم مكتباتهم التي تتضمن أعمال الفلاسفة اليونان وبقايا تراث الإسكندرية إلى المدن الجديدة التي سيستقرون فيها خاصة في ايطاليا، والتي ستصبح

مراكز علمية، استدعى حضور العمل الفيلولوجي، لكي ينقل هذا التراث إلى لغات المتلقين الجدد ومستواهم الثقافي وتطلعاتهم المعرفية والحضارية؛ ولقد تزامن ذلك مع عصر النهضة في غرب أوروبا، بحيث بدأ المجتمع يضيق ذرعا بسيطرة الكنيسة ويسعى إلى الخلاص منها، وتسرب الشك إلى كل دعائم الاستقرار الفكري والسياسي والاجتماعي والديني، مما مهد لقبول الزخم المعرفي الجديد والمختلف.

ولقد طورت دول المدن في ايطاليا والتي تمتعت بالاستقلال الذاتي آنذاك وعيا مدنيا تسبب في بعث الاهتمام بالقانون الروماني القديم، وهناك تقدمت الفيلولوجيا لتؤدي تلك المهمة بإتقان، فاتجه معلمو البلاغة الى تدريس القانون الروماني لمساعدة الحكومة على أداء مهامها وانتقلوا باهتمامهم من الوعظ إلى كتابة الخطابات"[7] ونظرا لما أحرزه الفيلولوجيين من مهارات أدبية فقد جلب لهم ذلك الوظائف الادارية كأمناء ومستشارين في مكاتب الدولة"[8]. فانعكس ذلك على مكانة الفيلولوجيا في المجتمع الايطالي ثم انتقل الى باقي دول وممالك اوروبا آنذاك.

ومن الشخصيات التي كان لها دورشبه ثوري في ازدهار الفيلولوجيا آنذاك "القاضي في مدينة بادوفا–Padova، السيد لوفاتو دي لوفاتي–Lovato dei Lovati (1241–1309) والذي تجمعت حوله زمرة من المعجبين بالعصور الكلاسيكية القديمة "[9]، كما كان صاحب قراءات كثيرة للتراث الروماني. لكن يبقى أهم عمل قام به في ميدان والبلاغة والشعر هو احياءه لأساليب القدماء". وبذلك يعتبر لوفاتو واضع" السمات الرئيسية للمذهب إنسانيي الناشئ آنذاك وهي: "الشهية للنصوص الكلاسيكية؛ والاهتمام اللغوي بها لتصحيحها والتأكد من معناها؛ ورغبة في تقليدها"[10].

وهنا بدأت النزعة الإنسانية تعاود الظهور والانتشار، لتسد الفراغ الذي سيحدثه التخلي على الفكر المسيحي، وتمثل العمل الأساسي للفيلولوجيا هذه المرة في العمل التفسيري والتأويلي، وذلك بشكل متعدد الأبعاد فلسفي وديني وأخلاقي وقيمي وفلسفي...، ولقد وجد هذا المطلب في النزعة الوثنية سندا ومنطلقا، نظرا لما يتميز به من قبوله للتنوع والتعدد في كل شيء، فهي التي كانت سائدة في فترة الإسكندرية، التي قبلت المعرفة القديمة لعلماء من مختلف الأماكن والديانات والأعراق والحقب.

إن النزعة الإنسانية كانت تنادي بإعادة اكتشاف الكون والإنسان في بداياتها، أصبحت"[11] في عصر النهضة "ثورة أدبية شعرية...على الروح المدرسية العلمية الفلسفية" التي رسختها المسيحية.

اختراق الفيلولوجيا لعالم لفلسفة:

الفيلولوجيا باعتبارها فلسفة:

ان التطور الذي عرفته الفيلولوجيا في نهاية الفترة الحديثة يجد بدايته مع تطورات التعليم العالي في المانيا، خاصة بعد أن وضع فيلهم فون همبولت نموذجه الخاص والمتميز آنذاك للجامعة باعتبارها مكان "استقرار العلماء والاساتذة وتفرغهم للتدريس فقط وفي نفس الوقت الغاية من وراء ذلك هي "تربية الشخص بأكمله"، وكان لذلك انعكاسه على الفيلولوجيا هي الأخرى فـ "أصبحت ألمانيا المركز الرائد في العالم للفيلولوجيا الكلاسيكية أو ما نسميه الآن ببساطة "الكلاسيكيات" والتي تعني الدراسة الدقيقة للنصوص الأدبية والفلسفية للعالمين اليوناني والروماني القديم"[12].

مع بداية القرن الثامن عشر بدأت الفيلولوجيا تعرف تطورات وتوسعات كبيرة من الناحية الوظيفية، فالفيلولوجيا التي كانت تقتصر على إعادة بناء النصوص والتعليق عليها من أجل جعلها أكثر وضوحا ومن ثمة نشرها، بدأت تنظر في النصوص من أجل غايات أخرى وهذا ما عمل عليه منظرون أغلبهم من المدرسة الفيلولوجية الألمانية، هؤلاء المنظرون غيروا من تصور الفيلولوجيا إلى نفسها بحيث أصبحت تقترب لتتماهى مع الفلسفة وفلسفة اللغة على وجه الخصوص، يأتي على رأس الفلاسفة الذين تبنو هذا الطرح كريستيان جوتلوب هاين Christian Gottlob Heyne(1729– 1812) الذي كان فيلولوجي مشهور و"الذي وصف نفسه بأنه فيلسوف، يوحِّد ويتجاوز مهارات القواعد النحوية والنقدية الرواقية"[13]. وتابعه على ذلك تلميذه فريدريش أوجست وولف Friedrich August Wolf (1759– 1824) والذي تكمن أهمية "في سعيه لتأمين استقلالية الفيلولوجيا من خلال فصلها عن اللاهوت. فلم تعد مجرد شكل استباقي، بل شكل من أشكال المعرفة – حيث أكد وولف القوة التحررية العظيمة لفلسفة اللغة، كنقد للسلطة ورفضًا لكل الأسس الميتافيزيقية"[14].

بعد أوغست وولف، برزت شخصية ألمانية أخرى وضعت بصمتها في مسار الفيلولوجيا، هذه الشخصية هي فريدريش شليجل–Friedrich Schlegel (1772–1829) والذي وضع فلسفة الفيلولوجيا حيث ووس من مجالها حتى أنه جعل مجالها غير محدود بحيث "لا تشمل فقط "الوعي بلغات الناس وأفعالهم" ولكن تشمل أيضا "علم كل شيء يعتمد على إرادة الإنسان: على سبيل المثال، جميع تواريخ اللغات والعادات والأفعال لمختلف الشعوب في كل من الحرب وسلام." لكن تعريف شليغل كان يهدف

إلى تقديم نقطة معرفية بدلاً من مجرد تقديم بديل أو بديل للمعرفة"[15]. لقد خطى شليغل أو ل خطوة في طريق دمج الفلسفة بالفيلولوجية أو بالفيلوجيا بالفلسفة ليصبحا كيانا واحد فكان يرى أنه "يجب على الفيلولوجي أن يتفلسف بصفته عالمًا لغويًا"[16]، فعلا انها رؤية جديدة للفلسفة تجعل المجال الذي تشتغل عليه الفلسفة هو اللغويات وفقط او ان على الفلسفة أن تبحث عن ما تشاء بشرط أن يكون ذلك من خلال اللغة.

ثم جاء بعد شليغل أوغست بويك – August Boeckh وهو تلميذ لفريدريك اوغست وولف بحيث اعتبر ان الفيلولوجيا هي "معرفة ما تم معرفته" أو "(إعادة) إدراك [ما أنتجه العقل البشري أو ما تم إدراكه بالفعل". وهنا نلاحظ ان ما جاء به بويك يتشابه كثيرا ما انتحلته الفلسفة التحليلية فيما بعد، بجعلها وظيفة الفلسفة تحيلا وتوضيحا للأفكار ليس اكثر.

ان اتجاه الرومانسيين الالمانيين فيما يخص الفيلولوجيا وابرزهم من ذكرنا أنفا بالاضافة إلى آخرين كـ (Wilhelm Dilthey) شدد ونوه على قدرة الفيلولوجيا على تحقيق نوع الهيمنة الأكاديمية المذكورة سابقًا.

نيتشه (1844– 1900) دمج الفلسفة بالفيلولوجيا:

لقد احب نيتشة تخصصه الجامعي في الفيلولوجيا ويعلن ذلك في احدى رسائله كتبها لأمه، إذ يخبرها أنه تخلى عن حلمه الذي راوده منذ عمر التاسعة الى غاية التاسعة عشر، والمتمثل في دراسة الموسيقى وأنه سعيد بدراسته للفيلولوجيا نظرا لما تتيحه لدارسها والمتخصص فيها من فرصة العمل بعيدا عن الاثر العاطفي[17]. وتشهد على ذلك نتائجه الدراسية فقد كان يحصل على نتائج جيدة خاصة في اللغات القديمة كالاتينية واليونانية وباقي المواد الدي درسها.، واستمرت تلك العلاقة على ذلك الحال حتى لما غادر حياة الطلب ليصبح استاذا.

لكن في فترة لاحقة بدأ نتيجه يغير موقفه من الفيلولوجيا الكلاسيكية، خاصة لما تطرق اليها في سياق انتقاده للتعليم الحاصل في البلدان الناطقة بالألمانية، ورزى للحالة المزرية التي وصلت اليها مهنة الفيلولوجيا في ذلك الحين وكان للفيلولوجيين الكلاسيكيين نصيبهم من نقده اللاذع فقد وصفهم بأنهم "متخلفون بشكل ميؤوس منه في أحسن الأحوال، ويهددون المجتمع في أسوء الأحوال"[18]، لقد كان هؤلاء

في نظره "غير قادرين على الدخول في روح العصور القديمة"[19]. في هذه المرحلة بدأ ميل يتجه ليعيش افكاره بدل أن يتأقم مع الوضع السائد في مجتمعه، ولذلك تعامل مع الفيلولوجيا كمنهج لفهم الحياة كما تعاش متجسدة مطبقة، وكان يرى أنه على الفيلولوجي أن أن يسعى الى معرفة نفسه أولا ثم أن يعرف المعرفة. وهنا انتهى الأمر الى أن يشرع في احداث تحويلات في الفيلولوجيا أو في فلسفة الفيلولوجيا فانتقل بها من فلسفتها الكلاسيكية التقنية إن صح التعبير إلى فيلولجيا فلسفية، فهو لم يتجه نحو الغائها أو رفضه بل سعى الى اصلاحها من الداخل لقد سعى الى تأسيس فيلولوجيا جديدة

واستمر في توسيع ارتباط الفلسفة بالفيلولوجيا بإسهاب إلى الحد الذي أصبح معه رائد هذا الاتجاه، و"مثالا للفيلسوف الذي جمع بين (الفيلولوجيا) والفلسفة"[20]، لكنه كان يرى نفسه على أنه فيلولوجي أولا وقبل كل شيء"[21] والفلسفة هي روح الفيلولوجيا بما تتمتع به من قدرة نقدية وتأويلية تمكنها من اختراق الظواهر والولوج الة بواطن وأصول الافكار والمفاهيم والمعاني. وللتدليل على ارتباط الفيلولوجيا "بالفلسفة، يستشهد نيتشه بقولة لسيناك أو سينيكة (Sénèque): (حيثما ثمّة فيلولوجيا، فثمّة فلسفة)، لأنّ (كلّ نشاط فيلولوجي يجب أن يكون موجّهاً ومؤطّراً ضمن تصوّر فلسفيّ للعالم. لذلك يدخل نيتشه عالم الفلسفة بعد أن أرسى أسسه الفيلولوجية)"[22]..

بما أنيتشه بدأ "اهتمامه بالبحث عن المعنى والأصالة داخل النصوص القديمة (الإلياذة والأوديسة مثلاً)، للتمييز الدّقيق بين المفاهيم المتداخلة في دراسة الفقه الكلاسيكيّ. ولذلك كان شديد الحرص على التأكّد من أنّ الهرمينوطيقا لصيقة بالبحث الفيلولوجي. كما يشدّد على ضرورة ربط الهرمينوطيقا بالنقد"[23].

لقد كان نيتشه امتداد لما دعا اليه كل من اوغست وولف[24] وشليغل وبويك هذا التيار الذي اراد للفيلولوجيا الألمانية ان لا تبقى اسيرة التقاليد وان لا تكتفي بدراسة علوم اللغة من نحو وصرف ودراسة للنصوص وتحقيقها كما أسلفنا، ولقد شكل هؤلاء "اتجاه عام يتخذ من اللغة وسيلة لدراسة الحياة العقلية والفكرية والثقافية لأمة من الأمم أو لشعب من الشعوب، وذلك بدراسة ادابها وفنونها وفلسفتها واديانها"[25].وكانت اضافته في تطوير الفيلولوجيا هي بجعلها تدرس أصول الأفكار كل الأفكار وتشكلها التاريخي، بل ونقدها وكشف تصوراتنا الأخرى الخاطئة عن تاريخ الأفكار، وذلك كله من خلال ما تتيحه لنا اللغة وما تحفضه من نصوص. اقد كان منهجه في ذلك هو الجينيالوجيا الفلسفية ذلك المنهج الذي يتتبع تطور القيم الى أن يصل إلى جذورها وأصولها فينتقدها ويبين تهافت أسسها وهذا العمل يتقاطع مع

التأثيل الفيلولوجي الذي يبحث في تطور معاني الألفاظ عبر التاريخ من أجل ان يصل إلى معناها الأصلي أو الاول الذي انبثقت منه المعاني الأخرى.

نجد في كتاب جينيالوجيا الاخلاق خير مثال على ما نقدمه من طرح إذ يمثل محتوى الكتاب تطبيق عملي ملموس مارس فيه نيتشه منهجه الجينيالوجي على الأخلاق، فركز على المفاهيم المركزية في الأخلاق كالخير والشر و... وينفي نيتشه عن نفسه انه كان يهدف الى مجرد دحض تصورات معينة للاخلاق وانما كان يصبو الى ان يضع مكان الاشياء غير المحتملة أشيئا اخرى اكثر احتمالا"[26].

ولما يطبق نيتشه منهجه الجينيالوجي نجده يقوم بعمل شبيه الى حد بعيد بالعمل الفيلولوجي وفي نفس الوقت يقابله، فهو حينما يبحث في النظرية الاخلاقية ويفحص مفاهيمها والقيم التي تنبني عليها من اجل ان يكون هناك تصور اصح للأخلاق حسب زعمه. نجد أن الشيء نفسه يفعله الفيلولوجي مع النص حينما يفحص الفراغات الموجودة في نص معين لكي يجد لها الكلمات المفقودة فيعيدها الى مكانها لكي يستقيم معنى النص، كذلك هو الامر مع عمليات اخرى يقوم بها الجينيالوجي والفيلولوجي لها ما يجمعها، كالبحث عن أصول المفاهيم والتي تقابلها معاني الالفاظ، وكنقد التصورات التي يقابلها نقد النصوص وما الى ذلك. باختصار ان خطوات المنهج الجينيالوجي لدى نيتشه هي محكاة للخطوات التي يتبعها الفيلولوجي مع الالفاظ ودلالاتها.

الجينيالوجيا والفيلولوجيا في فلسفة نيتشه:

الفيلولجيا والتأويل عند نيتشه:

لا يستغرب أن يكون للهرمنوطيقا مكانة واعتبار عند نيتشه فقد كانت من ضمن اهم التخصصات التي تدخل في تكوين الفيلولوجيا الكلاسيكية، كما أنه مارس هذا النشاط في دراساته للأعمال الكلاسيكية مثل المسألة الهوميرية وغيرها، لكنه في فيلولوجياه الجديدة جاء بالجديد لما جعل من المعنى كامن في افعال الجسد بدل أن يكون في الفكر او العقل كما درج على ذلك الفلاسفة السابقون، ذلك أن حقيقة الحياة وسيرورتها لا يحكمها العقل بقدر ما تحكمها ارادة القوة أو الاقتدار أو الربات والغرائز، وفي الدراسة القيمة التي قام بها إريك بلوندال – Eric Blondel، وعنوانها: نيتشه الجسد والثقافة، الفلسفة كجينيالوجيا فيلولوجية– Nietzsche: The Body and Culture. Philosophy as a Philological

genealogy.، يذهب في هذا الاتجاه إذ يرى ان نيتشه كان يحاول التفكير في الثقافة من خلال الجسد على أنه تفسير للحياة الفكرية بما فيها القيم والاخلاق التي وضعها البشر، وهذا التفكير في الجسد كان عبر الثقافة التي هي في الاخير نص أو نصوص، ومنه تكون الجينيالوجيا التي اشتغل عليها نيتشة جينيالوجيا فيلولوجية تشابه الفيلولوجيا في ممارساتها التي تقوم بها، وفي نفس الوقت تنطق مما تنتهي اليه الفيلولوجيا باعتبارها تدرس النصوص والثقافات.

ان تأويلية نيتشة تستند في جانب كبير منها على تخيل للتاريخ انطلاقا من افتراضات وهذا ما يفعله نيتشه في جينيالوجيا الاخلاق ويصرح به لما يقول بقول نيتشه: "أن الفهم التاريخي، ليس إلا أن نتصور عددا من الأحداث انطلاقا من افتراضات فلسفية"[27]؛ وهذا يقودنا إلى أن المنهج الجينيالوجي لا يصبو إلى الوصول إلى حقائق وانما يبتغي تحصيل تأويلات فعند نيتشه ليس ثمت حقائق وانما ثمت تأويلات.

ان اثارة تساؤلات حول طبيعة المفاهيم المكونة للنظرية الاخلاقية (القيم) ومكانتها ودورها. خاصة تلك التي سلم بها الناس منذ القديم بما فيهم الفلاسفة الكبار والعلماء حتى اصبحت خارج دائرة النقد؛ وذلك لانهم لطالما نظروا الى الاخلاق وهم يستندون الى قيم معينة تحول بينهم وبين النظرة المحايدة والشمولية والتي هي النظرة الجينيالوجيا، لذلك فهو يرى ان الناقد الحقيقي يقوم بوضع "القيم ... موضع الشك، ويتأملها كما لو كان مشاهدًا محايدًا يختبرها من بداية الأمر ليقرر مدى صلاحيتها، «فلكي يتسنى لنا أن نتأمل أخلاقنا الأوروبية من بعيد، ونقارنها بنُظُم أخلاقية أخرى، سابقة أو تالية، علينا أن نفعل ما يفعله السائح الذي يريد أن يعرف مدى ارتفاع أبراج مدينة، فهو عندئذٍ «يغادر» المدينة"[28]؛ من هنا قدم نيتشه نفسه ناقدا لنقد، يتجه الى القيم والممارسات الحياتية بالاضافة الى المعرفة. وكل ذلك يتجلى من خلال الكلام فالكلام وحده الذي يعكس الفكر كما يعكس الرغبة والارادة، "بحيث يمكننا أن ننطلق من القواعد إلى العالم الفيزيقي مرورا بالكلمات واللغة والوعي والفكر، مثلما يمكننا أن نعود أدراجنا وعبر هذه المحطات بالذات انطلاقا مما نسميه حقيقة، لنصل إلى القواعد"[29]

1)- فوزية ضيف، الهامش التأويلي ضمن فلسفة نيتشه الشاب، مجلة لوغوس، العدد الثالث والرابع، (سبتمبر 2015)، ص 4.

[2])- فرانسوا راستي، فنون النص وعلومه، ترجمة: ادريس خطاب (الدار البيضاء المغرب: دار توبقال للنشر، ط1؛ 2010) ص 44.

[3])- جورج غوسدروف، اصول التأويلية، ترجمة: فتحي انقزو (المغرب: مؤمنون بلا حدود للنشر، ، ط1؛ 2018) ص 46.

[4])- المرجع نفسه، ص46-47.

[5])- المكان نفسه.

[6])- Harry Thurston beck, A History of Classical Philology from the Seventh Century, B.C. to the Twentieth Century, A.D,(New York : Macmillan company, 1911), P

[7])- James Turner, Philology: The Forgotten Origins of the Modern Humanities (Princeton: Princeton University Press, 2014) PP 33-34.

[8])- Loc. cit

[9])- Loc. cit

[10])- Loc. cit

[11])- عبد الرحمان بدوي، التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية، ترجمة عبد الرحمن بدوي (مصر: مكتبة النهضة المصرية، 1940)، ص 24.

[12])- Brian Leiter, The Routledge Philosophy Guidebook to Nietzsche On Morality, , (LONDON AND NEW YORK : Routledge, 2002), p 35-36.

[13])-Sheldon Pollock, Benjamin A. Elman, and Ku- ming, World Philology, (London, Massachusetts, Harvard University Press), 2015, P 6.

[14])- Loc. cit.

[15])- Loc. cit.

[16])- Loc. cit.

[17])- يقول نيتشه في رسالته: " لقد تخليت عن كل الخطط الفنية لحياتي؛ تم ملء الفجوة الناتجة عن ذلك بالفيلولوجيا. لأنني طالبت بموازنة ضد هذه الميول المتغيرة وغير المستقرة حتى ذلك الحين، من أجل علم، يمكن الترويج له باعتدال رائع، البرودة المنطقية، مع العمل المنتظم، دون أن يتأثر قلب المرء بالنتائج على الفور. كل هذا كنت أؤمن به في ذلك الوقت وجدته في الفيلولوجيا". انظر:

Anthony K. Jensen and Helmut Heit, Nietzsche as a Scholar of Antiquity (London – New York: Bloomsbury, 2014), P 08.

[18])– Joshua Billings, Nietzsche’s Philology of the Present, New Literary History, Volume 51, Number 3, Summer 2020, pp. 01.

[19])– Nietzsche as a Scholar of Antiquity, ibid .P 32..

[20])– الزواوي بغورة، اللغة والفلسفة: نقد المنعطف في الفلسفة المعاصرة (بيروت: دار الطليعة، ط1؛ 2005)، ص 131.

[21])– إدوارد سعيد، الأنسنة والنقد الديموقراطي، ترجمة: فواز طرابلسي (بيروت لبنان: دار الأدب، ط1؛ 2005)، ص 79.

[22])– نيتشه من الفيلولوجيا إلى الفلسفة، مرجع سابق، ص 08.

[23])– المرجع نفسه، ص 09 .

[24])– "كثيرا ما يشير نيتشه في كتاباته وهو في جامعة بازل إلى عمل وولف في فقه اللغة. انظر، على سبيل المثال كتابه (نحن الفيلولوجيون)" انظر:

Alan Schrift, Nietzsche and the Question of Interpretation: Between Hermeneutics and Deconstruction (New York , London : Routledge, 2014), P 220.

[25])– الزواوي بغورة، اللغة والفلسفة: نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، (بيروت لبنان: دار الطليعة، ط1؛ 2005م)، ص 131.

[26])– فريدريك نيتشه، في جينيالوجيا الاخلاق، ترجمة: فتحي المسكيني، مراجعة: محمد محبوب (تونس: دار سينترا، ط1؛ 2010) ص35.

[27])– الهامش التأويلي، مرجع سابق، ص 3.

[28])– فؤاد زكريا، نيتشه، (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، ط2؛ 2018)، ص.76

[29])- حسن أمزيان، فلسفة اللغة عند نيتشه، مجلة منتدى الاستاذ، المجلد الثاني، العدد الأول، ص 02.